عدد خاص

البلاغة وتحليل الخطاب

مجلة فصلية علمية مُحكّمة

جماعة البلاغة وتحليل الخطاب

العدد
14
2019

البلاغة وتحليل الخطاب

مجلة فصلية علمية مُحكِّمة

المدير المسؤول: ادريس جَبري

هيئة التحرير

الحسين بنوهاشم — عبد الرحيم وهابي

عبد القادر بقشى — امحمد واحميد

هيئة التحكيم

محمد العمري — محمود ميري

محمد الولي — حسان الباهي

سعيد بنكراد — محمد مشبال

سعيد يقطين — محمد الظريف

عماد عبد اللطيف — محمد مفتاح

العدد 14 - 2019

- عنوان المجلة: ص. ب.: 243 - بني ملال (23000) - المغرب.
- الهاتف/الفاكس: 0523481666/الهاتف النقال: 0668022157
- الموقع الإلكتروني للمجلة: http://albalaghaaljadida.blogspot.com
- البريد الإلكتروني للمجلة: jabridriss@gmail.com

1- الدراسات المنشورة بالمجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة، والتي لم تُنشر لا تُردّ إلى أصحابها.

2- يخضع ترتيب المقالات لاعتبارات تقنية فحسب.

3- يرجى من الباحثات والباحثين الالتزام بشروط النشر في المجلة، والعمل بمقتضياتها، تيسيرا لعمل إدارة المجلة وهيئة تحريرها.

- **الإيداع القانوني رقم: 117 PE 2012**
- **الملف الصحافي: 2012/09**
- **ردمد: 9456-2028**
- **طبع بمطبعة الرباط نيت- الرباط** Imprimerie Rabat Net Maroc
- **توزيع: سابريس (Sapress)**
- **الغلاف من تصميم الفنان: عبد الله لغزار.**

شروط النشر في المجلة

تنشر مجلة البلاغة وتحليل الخطاب جميع الدراسات النظرية والتطبيقية، الأصلية والمترجمة، الداخلة في مجال اختصاصها، المراعية لشروط البحث العلمي الأكاديمي، المكتوبة باللغة العربية، والتي لم يسبق نشرها.

ترتيبات النشر:

1- ترسَل المشاركات العلمية إلى المجلة على بريدها الإلكتروني، مطبوعة على الوورد بحجم Sakkal Majalla 14 وحجم 12 بالنسبة للغات الأجنبية في المتن، وبحجم 12 للعربية وحجم 10 بالنسبة للغات الأجنبية في الهامش.

2- يتراوح طول الدراسة بين 3000 و4000 كلمة.

3- في حالة الترجمة يُرفَق النص المترجم بالنص الأصلي.

4- توضع الهوامش في أسفل الصفحات: «ترقيم جديد لكل صفحة»، مع الاقتصار على اسم المؤلف (على أن يكون الاسم الشخصي تاليا وبين قوسين) والمرجع والصفحة (يشار إلى الصفحة بحرف الصاد مَتْلُوّاً، بعد فاصل، برقمها دون أي إضافة (ص 14 مثلا)، فإن كانت الإحالة على أكثر من صفحة يُفصل بين الرقمين بعارضة (ص 14-18 مثلا)).

5- تُثبَت المراجع والدوريات باللغة العربية أو الأجنبية في آخر الدراسة منفصلة عن الإحالات؛ وذلك على الشكل الآتي: اسم المؤلف (اسم الشهرة يليه الاسم الشخصي بين قوسين)، عنوان الكتاب، دار النشر، الطبعة، البلد، سنة النشر؛ وإذا كان المرجع مقالا وَلِيَه اسم المجلة (فإن كان ضمن كتاب يُذكر عنوانه متلوّاً بالمعطيات أعلاه بنفس الترتيب)، ثم يُذكر رقم العدد أو المجلد والسنة. ويراعى في كل ذلك الترتيب الألفبائي لأسماء المؤلفين.

6- تُكتب عناوين الكتب وأسماء المجلات بخط مضغوط، فإن كانت أجنبية كُتبت بخط مائل. أما عناوين المقالات فتوضع بين حاصرتين («...»)، وذلك سواء في المتن أو الهامش.

7- يُفصل بين جميع المعلومات في الإحالات أو في لائحة المراجع بالفواصل وتُختم بوضع نقطة. فإن أريد ذكر مرجع ثان ضمن نفس الإحالة يُفصل بينه وبين المرجع الأول بقاطعة (؛).

8- إن أحيل على نفس المرجع المذكور في الهامش السابق يُكتفى بذكر عبارة "نفسه" متلوّة برقم الصفحة بعد فاصلة (نفسه، ص 45 مثلا).

9- في حالة الإحالة على مرجع على الويب، يُكتب اسم المؤلف (فإن لم يكن، يُبدأ بعنوان المرجع مباشرة)، بعده عنوان المرجع، تليه عبارة: "على الويب" بين قوسين معقوفين []، وسنة النشر إن وُجدت، فعنوان الموقع، ثم يُكتب بين قوسين () تاريخ الاطلاع عليه في الويب.

10- في حالة تقديم توضيح أو تعليق وسط استشهاد، ينبغي وضعه بين قوسين معقوفين []. وإن تم الحذف داخل استشهاد، توضع بينهما نقط الحذف: [...].

11- حين يُذكر اسم علم أجنبي أو مقابل أجنبي لمصطلح يُكتب الاسم أو المصطلح بالعربية ثم يُكتب بالخط الأجنبي بين قوسين ()، وذلك في المرة الأولى فقط. فإن أعيد ذكره كُتب بالعربية فحسب.

12- يُبلَّغ أصحاب المساهمات بتسلم مشاركاتهم فور التوصل بها، على أن يتم إخبارهم بقَبولها للنشر بعد عرضها على محكِّمين على نحو سري.

13- تطلب المجلة، في إطار التعاون العلمي، من صاحب البحث إجراء التعديلات الضرورية عند الاقتضاء.

الفهرس

كلمة العدد 7

عدد خاص عن جماعة البلاغة وتحليل الخطاب

- تاريخ الخَطابية العربية الحديثة، وقائع ومنجزات
محمد العمري 17
- موعد مع البلاغة الجديدة في كلية الآداب بفاس
محمد الولي 49
- نحو رؤية جديدة للبلاغة العربية القديمة، قراءة في المنجز البلاغي لمحمد العمري
عبد الرحيم وهابي 67
- من بلاغة المحسنات إلى بلاغة الحجاج، دراسة في المشروع البلاغي لمحمد الولي
عبد القادر بقشي 81
- مدخل إلى مشروع البلاغة العامة، أعمال محمد العُمَري من نوافذ ادريس جبري
عماد عبد اللطيف 103
- سؤال البلاغة العامة في منجز عبد الرحيم وهابي
محسن محوش 119
- البعد التداولي في أعمال الحسين بنوهاشم، إسهام في إعادة بناء بلاغة عامة
حسن بدوح 131
- بين سؤال الحداثة وسؤال البلاغة العامة، قراءة في أعمال ادريس جبري
امحمد واحميد 147

مدخل إلى مشروع البلاغة العامة
أعمال محمد العُمَري من نوافذ ادريس جبري

عماد عبد اللطيف[1]

توطئة:

يقدم هذا البحث إطلالة على إحدى أهم المساهمات العلمية التي تندرج في إطار البلاغة الجديدة في العالم العربي، هي مشروع البلاغة العامة لمحمد العُمري. وذلك عبر تقديم مراجعة نقدية لكتاب **سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري: نحو بلاغة عامة**، للأستاذ إدريس جبري. ينقسم البحث إلى تمهيد يتتبع فيه الباحث مدارس البلاغة العربية خلال القرنين العشرين والحادي والعشرين. ويقترح النظر إلى كتاب **سؤال البلاغة** على أنه بلورة لإسهامات مدرسة بلاغية مغربية متحلقة حول أعمال الأستاذ محمد العمري، هي مدرسة البلاغة العامة. يرصد البحث منهجية تأليف الكتاب، وطريقة معالجته لمشروع العمري، من خلال اقتراح فكرة نوافذ الباحث. ويميز البحث بين نوافذ ثلاث حاضرة في كتاب **سؤال البلاغة**: هي نوافذ السارد، والواصف، والميسِّر. وأربع أخرى غابت عنه؛ هي نوافذ المقارِن، ومتتبع الأثر، وفاحص الأسلوب، والناقد.

مقدمة: مدارس البلاغة العربية بين جيلين

في ثلاثينيات القرن العشرين وأربعينياته تحلّقت حول الشيخ أمين الخولي (1895 - 1966) نخبة من باحثي البلاغة الشبان، ممن ارتادوا الجامعة المصرية في إحدى أكثر حقبها ازدهاراً[2]: شملتْ شكري عياد، ومصطفى ناصف، وعز الدين إسماعيل، وحسين نصار، ومحمد أحمد خلف الله، وعبد الحميد يونس، وعائشة عبد الرحمن (الشهيرة ببنت الشاطئ)، وشكري الفيصل، وغيرهم. شكّلت هذه المجموعة مدرسة علمية حملت اسم "**الأمناء: مدرسة الفن**

---

[1]. أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة قطر. ويتقدم المؤلف بجزيل الشكر للدكتور الحسين بنوهاشم، على ملاحظاته، وتصويباته القيمة على نسخ أولية من هذا البحث.

[2]. نشأت الجامعة المصرية عام 1908، أطلق عليها اسم جامعة فؤاد الأول عام 1940، ثم غيّر الاسم عام 1953 إلى جامعة القاهرة.

والحياة"، جعلت من أخص أهدافها «أن يكون درس الأدب وتاريخه على منهجٍ تُصحّحه الخبرة بالحياة، والنفس، والجماعة، ويمثّل التقدم الإنساني والرقي العقلي»[1]. كانت البلاغة محوراً أساسياً من محاور اهتمام الأمناء، باعتبارها «قوام الحياة الأدبية الصانعة والناقدة»[2]. ومن ثمّ، تأسس ما يمكن أن نعُدّه أوّل مدرسة بلاغية عربية في العصر الحديث. وقد خلّف الأمناء تراثاً مهمّاً من الكتابات البلاغية الأصيلة، وتركوا أثراً محوريّاً في علم البلاغة، ومسائله، واهتماماته، امتد لعدّة عقود.

على الرغم من وجود إسهامات بلاغية عربية أصيلة خلال نصف القرن الماضي، فإن أغلبها ظلّ إسهامات فردية، ولم تتحول إلى "مدارس" بلاغية؛ أعني مجموعات كبيرة من الباحثين تتحلق حول أستاذ أو أكثر، وتتبنى مشروعاً بحثيّاً تربطه تصورات وأهداف معرفيّة مشتركة، وتُنجز تحولاً جذريّاً في النموذج المعرفي الإرشادي لعلم البلاغة، وتضع نفسها في مواجهة نموذج قار مهيمن، مثل مدرسة الشيخ أمين الخولي وطلابه. ومع ذلك، يمكن الحديث باطمئنان عن مشاريع مدارس بلاغية معاصرة قطعت شوطاً كبيراً في طريق الاكتمال، لعل أهمها، مشروع البلاغة العامة للأستاذ محمد العُمري (1945-).

على الرغم من المسافة الزمنية الفارقة بين مدرستي الخولي والعمري، فإنهما تشتركان في خصائص عدّة؛ منها:

1. صياغة تصورات جديدة لعلم البلاغة، ووظيفته، ومسائله، وغاياته، وعلاقاته المعرفيّة، ودوره في المجتمع، تُخالف التصورات العامة السائدة في زمنهما. فقد عمل الخولي على إحلال فن القول محل البلاغة الكلاسيكية، ودعا إلى ربط البلاغة بمشروعي النهضة والقومية المزدهرين في زمنه، واستكشف علاقات غير تقليدية بين البلاغة وعلم النفس. على نحو مشابه، صاغ العمري نموذجاً للبلاغة العامة التي تجمع بين التخييلي والتداولي، ودعا إلى ربط علم البلاغة بالخطابات العمومية في المجتمع، متخذاً من البلاغة أداة لمقاومة التلاعب ونقده.

2. الاتكاء على التراث العربي، ومقاربته من منظور نقدي. فقد أعلن الخولي دون مواربة أن «أول التجديد قتل القديم فهماً»[3]. أما العُمري فقد كانت قراءته المعاصرة للتراث البلاغي في كتابه المُلهِم **البلاغة العربية: أصولها وامتداداتها** حجر الزاوية في مشروعه التجديدي.

---

[1]. انظر: الخولي (أمين)، **فن القول في مدرسة المعلمين العليا**، ص 16.

[2]. نفسه، الصفحة نفسها.

[3]. الخولي (أمين)، **مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب**، ص 128.

3. التأثر الجذري بتصورات بلاغية غربية مجايلة للمشروعين؛ فقد تأثر الخولي على نحو جذري بالإدراك الرومانسي للبلاغة، مثلما تأثر العُمري بمشروع البلاغة الجديدة عند بيرلمان، وآخرين.

4. تنزيل البحث البلاغي من دائرة النقاش الأكاديمي الخاص إلى دائرة النقاش الثقافي العام؛ بواسطة تحويل قضايا تجديد البلاغة إلى هَمٍّ عام، وطرح هذه القضايا في فضاءات التواصل العمومي. وفي حين اتخذ الخولي من الصحافة في زمنه وسيطاً لتوسيع دائرة النقاش حول البلاغة، اتخذ العمري الوسيلة نفسها قبل أن تصبح وسائط التواصل الاجتماعي وسيطاً آخر مهمّاً.

5. الاهتمام بإتاحة المعرفة العلمية خارج الأطر التقليدية. فقد أصدر الأمناء مجلة علمية، أشرف عليها شيخهم، وأولَاها جُلَّ اهتمامه منذ سنة تقاعده عام 1956 حتى وفاته بعد عقد من الزمان عام 1966، هي **مجلة الأدب**. وعلى نحو مشابه، فقد أصدر الأستاذ العمري بالاشتراك مع الأساتذة محمد الولي، وحميد لحميداني وآخرين مجلتين علميتين هما: **مجلة دراسات أدبية ولسانية، ومجلة دراسات سميائية أدبية لسانية**. كما ساهم في تدشين **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب**، التي ربما تمثِّل في الوقت الراهن المجلة العربية الأهم في حقلي البلاغة وتحليل الخطاب.

6. الاهتمام ببناء جيل من الباحثين المتميزين، عبر آلية التبني العلمي والأكاديمي. ولعل من أدق التشابهات بين الأستاذين هذا الحرص على دعم طلابهما، ومساندتهما علميّاً وإنسانيّاً، وتعاملهما مع الطلاب الدارسين على أنهم شركاء المستقبل. فقد وجّه الخولي طلابه لاستكمال مشروعه البلاغي؛ فقام محمد خلف الله وشكري عياد بتطبيق تصوراته النظرية حول بلاغة القرآن الكريم بوصفه نصّاً أدبيّاً بليغاً، وفعّل عبد الحميد يونس ومحمد العلائي دعوة الخولي لدراسة الخطابات الشعبية بواسطة البحث في بلاغة الأدب الشعبي، وهلم جرا. ولعل الفعل الرمزي للمسؤولية الكبيرة التي كان يلقيها الخولي على عاتق تلامذته يتمثل في تكليفهم بكتابة مقدمات كتبه. وهو ما يُمثِّل قلباً رمزيّاً للتصور التراتبي التقليدي الذي يتجلى في كتابة الأستاذ مقدمات كتب تلامذته. آمن الخولي بأن طلبته هم بوابته الحقيقية للقراء والمتابعين؛ فكتب شكري عياد مقدمة كتاب **مناهج التجديد في البلاغة والتفسير والنحو**، وكتب عبد الحميد يونس مقدمة كُتيب **في الأدب المصري**، وكتب محمد العلائي مقدمة كتاب **فن القول في معهد الدراسات العليا**.

لقد تجلى إدراك الخولي لدور شباب الباحثين في النهوض بالمشروع العلمي للأساتذة في صياغته لواحدة من أكثر العبارات تأثيراً في هذا المقام، وهي قوله: «المدرسة (العلمية) إنما هي

أستاذ نهض به طلبته»[1]. ويبدو استعمال الخولي لأسلوب القصر في العبارة السابقة دالًّا إضافيًا على محورية دور الطلاب في تشكيل المدرسة العلمية. وبخاصة من خلال مراجعة أفكار الأستاذ، وتطويرها، ونقدها، وتطبيقها في سياقات جديدة، ومقارنتها بغيرها، وسد فجواتها، وتيسيرها للباحثين الجدد. على نحو ما سنرى في إسهامات طلاب الأستاذ العمري لاحقًا.

لقد وضع الخولي معادلة خاصة به في وصفه للعلاقة بين الطالب وأستاذه هي: ط = أ + ز. ((ط) رمز للطالب، و(أ) رمز للأستاذ، أما (ز) فهي رمز للزمن). والمعادلة تبرهن على ضرورة تجاوز الطالب لأستاذه، وإلا عُدَّ فاشلاً؛ لأنه لم يستفد من قيمة الزمن الذي يوفر تراكماً في المعرفة، وتقويماً للخبرة، وتطوراً في المقاربات والمنهجيات، وتبلوراً في الأسئلة المعرفية. فالطالب الذي لا يدرك ماهيّة زمنه، ومتطلباته، وخصوصياته ليس بطالب، والأستاذ الذي لا يأخذ بيد طالبه ليفعل ذلك ليس بأستاذ.

هذه الخصائص المشتركة تبدو لي ركائز أساسية لأية مدرسة علمية. ويشير اشتراك الخولي والعمري فيهما إلى تحقق مفهوم المدرسة العلميّة في مشروعيهما المحوريين في تاريخ البلاغة العربية الجديدة في العصر الحديث. وقد سبق أن قَدّمتُ دراسةً تفحص مشروع تجديد البلاغة عند مدرسة الخولي، وتجلياتها، وتأثيراتها[2]. وعلى نحو مشابه، تتناول هذه الدراسة مشروع العُمري، من خلال فحص كتاب **سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري. نحو بلاغة عامة**[3]، للدكتور إدريس جبري (1962-)، أحد أبناء مدرسة العمري البلاغية، الذي سعى من خلاله إلى ضمان حياة إضافية لمشروع أستاذه. والكتاب يُعدُّ مدخلاً متميزاً لدراسة مشروع العمري الهادف إلى تأسيس بلاغة عامة، غايتها نقل البلاغة العربية من الاختزال إلى الرحابة.

سؤال البلاغة ونوافذ الباحث

أفحص في هذا البحث منهجيّة تأليف كتاب **سؤال البلاغة**، وأسعى لبلورة أهم إسهاماته، وتقديم اقتراحات لاستكماله في المستقبل.

---

[1]. وردت العبارة ضمن رسالة وجهها الخولي إلى تلميذه عبد الحميد يونس، يحثه فيها على كتابة مقدمة كتاب **في الأدب المصري**. انظر: الخولي (أمين)، **في الأدب المصري**، ص 5.

[2]. قُدّم البحث في مؤتمر جامعة كولومبيا الأمريكية، انظر: Abdul-latif, (Emad), ***Rhetorical Revival: Transformation of Arabic Balaghah in Amin Al-Kholys' works***, A paper presented at Columbia University International Workshop on 'Conceptions and Configurations of the Arabic Literary Canon', Columbia University Global Centre, Paris, 17-19/06/2019.

[3]. صدر الكتاب عن منشورات **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب** بالمملكة المغربية، عام 2019.

تقوم مقاربتي للكتاب على فكرة نوافذ الباحث. تفترض هذه الفكرة أن مؤلّفي الكتب التي تمثل مداخل إلى مشاريع علمية محورية، مثل كتاب **سؤال البلاغة**، ينظرون إلى هذه المشاريع من نوافذ متنوعة، بتنوع تصورهم لطبيعة عملهم، وهدفهم منه. فعلى سبيل المثال، قد ينظر مؤلّف إلى مشروع علمي من نافذة الناقد بشكل أساسي؛ مُركّزاً على تتبع الأخطاء، والتناقضات، والفجوات، وأوجه القصور، واقتراح علاجات لها. في حين ينظُر مؤلِّف ثان إلى المشروع ذاته من نافذة المؤرخ؛ المنشغل بتتبع الجذور، والمؤثرات، والسياقات، والامتدادات. وقد يُطلُّ مؤلفون آخرون من نوافذ أخرى، مثل نافذة المقارن، أو نافذة الواصف، أو نافذة المُيسِّر، أو نافذة السارد، أو غيرها. وتبدو النوافذ التي يرى من خلالها باحث ما مشروعاً علميّاً ما لا حصر لها. ويُتوقع أن يختار كل مؤلّف النوافذ التي تتلاءم مع منظور بحثه، وغايته، وإدراكه للمشروع الذي يدرسه.

يسعى هذا البحث إلى بسط فكرة نوافذ الباحث، من خلال تناول خصائص بعض هذه النوافذ، مركّزاً على النوافذ "الحاضرة" في تقديم الأستاذ جبري لمشروع الأستاذ العمري، وتلك "الغائبة" التي يُحتاج إليها للإحاطة بأبعاد المشروع. ويهدف البحث إلى البرهنة على أن مفهوم نوافذ الباحث مفيد في تحليل مراجعات الكتب، وتقديم آلية جديدة لتأليفها، وبخاصة ما يتعلق منها بمراجعة المشاريع والمدارس العلميّة.

استناداً إلى ما سبق، أقسّم تناولي لكتاب الأستاذ جبري عن مشروع الأستاذ العمري إلى قسمين يتناول الأول النوافذ الحاضرة التي أطلّ منها على مشروع العمري، ويقترح الثاني نوافذ إضافية، غابت عن كتاب جبري، ويمكن أن تمثل إضافة مهمة له، ثم تأتي خاتمة المقال لتوجز خلاصته.

السارد، والواصف، والميسر: نوافذ جبري لمشروع العمري

أطل الأستاذ جبري على مشروع الأستاذ العمري عبر ثلاث نوافذ؛ هي نافذة الواصف، والسارد، والميسّر. وأحدد ملامح كلّ منها فيما يأتي:

1. نافذة السارد

لكل مشروع علمي حكاية. تبدأ مع كونه بذرة في رحم العقل، أو الواقع، وتنتهي باستقراره فوق رف من رفوف التاريخ. وتُقدم الكتب التعريفية بالمشاريع العلمية، عادة، سرداً وافياً لحكاية هذه المشاريع؛ منذ كانت نطفة حتى استوت مكتملة. وحين يطلّ المؤلّف من نافذة السارد، فإنه يحكي عادة نوعين من الحكايات؛ الأولى يكون المؤلّف فيها راوياً عن راوٍ؛ حين يُعيد سرد حكايات سبق لأصحاب المشروع حكايتها، وهم يكتبون تاريخ مشاريعهم العلمية؛ إن أتيح لهم كتابته. أما النوع الثاني فهي حكايات يصنعها المؤلّف نفسه، بهدف بناء سيرة حياة

للمشروع العلمي، يسعى من خلالها إلى تقديم صياغة سردية لسيرة حياة المشروع؛ بأحداثه، وأبطاله، ومناوئيه.

يمكن لقارئ كتاب **سؤال البلاغة** إدراكه بوصفه تضفيراً لحكايات ثلاث؛ حكاية على حكاية على حكاية. الحكاية الأولى تروِيها كتب العمري البلاغية نفسها، أي القصة التي يصنعها مشروعه البلاغي بوصفه "أحداثاً" علمية، لها زمكانها، وحبكتها، ومغزاها. والحكاية الثانية تشكلتْ بواسطة القصص التي رواها العمري نفسه عن مشروعه العلمي، ونحن نعرف الآن سيرة حياة كل أعمال العمري تقريباً؛ بفضل كتابيه **أشواق درعية: العودة إلى الحارة، وزمن الطلبة والعسكر**، علاوة على عشرات اللقاءات، والحوارات، والمقالات السردية التي سرد العُمري فيها حكاية تأليف كتبه منذ كانت أفكاراً تسبح هائمة في سماء العقل حتى استوت أنهاراً تروي حقلاً معرفيّاً بأكمله.

أضاءت سرديات العمري نقاطاً معتمة مسكوتاً عنها عادة؛ أعني سياقات إنتاج المعرفة، وتداولها. ونحن ندرك الآن أن فهم سياقات إنتاج المعرفة وتداولها لا يقل أهمية عن فهم مقولات المعرفة ذاتها؛ لأن تاريخ العلم ليس فحسب تاريخ الأفكار التي تقدمها الكتب، وإنما تاريخ تأليف هذه الكتب أيضاً.

الحكاية الثالثة هي حكاية مؤلف كتاب **سؤال البلاغة**، إدريس جبري، مع مشروع الأستاذ العمري. وتتضمن هذه الحكاية منظورين على الأقل: الأول منظور السارد الشاهد، الذي عايش لحظات إنتاج بعض هذه الكتب، وربما كان له أثر فيها، منذ كان طالباً يهابُ أستاذه، حتى غدا زميلاً يُمنح شرف قراءة المسودات، والتعليق عليها. والمنظور الثاني هو منظور السارد عن السارد، الذي يروي ما سبق أن حكاه الأستاذ العمري من قصص عن أعماله العلمية.

تقوم نافذة السارد بوظيفة مهمة في كتاب **سؤال البلاغة** يمكن أن أسميها وظيفة التسييق؛ أعني وضع المنجز المعرفي للأستاذ العمري في إطار تاريخ إنتاجه، ونشره، وتداوله، وتلقيه. وتبدو نافذة السارد مهمة وضرورية؛ لأنها تتيح لنا فحص كيفية إنتاج المعرفة في لحظة تاريخية معينة، وكيف تُتلقى. وتمكّننا من دراسة آليات مقاومة الأفكار الجديدة في حقل معرفي ما، وكيف يترسخ مقترح معرفي بعينه، ويختفي آخر في طيّات النسيان.

لقد أفاد فعل التسييق من التراث السير-ذاتي الثري الذي قدمه العمري، ومزج بين سرديات حياة مشروعه الأكاديمي والفكري من ناحية، والتاريخ الاجتماعي والسياسي من ناحية أخرى. بما يمكّن من إدراك الوشائج بين المشروع المعرفي الفردي، والتحولات المجتمعية والسياسية القطرية والإقليمية على حد سواء. ويستمد فعل التسييق أهميته في كتاب **سؤال البلاغة** من خصوصية تجربة العمري التي تكاد تكون اختزالاً رمزيّاً لتحولات أشمل وأعم. فتكاد تحولات حياته تشكل أيقونة جيل كامل من الباحثين، عايشوا الانتقال من بيئةِ نشأة قروية

تقليدية إلى بيئة مدينية منفتحة، وامتحنوا بالانتقال من هيمنة خطاب ديني في الصبا إلى هيمنة خطاب يساري حداثي في الشباب. أجيال ملأها حلم المدينة الفاضلة في الصبا، ثم تجرعوا آلام قتل الحلم وراء قضبان الاستبداد في بواكير الرجولة، وعاينوا انكسارات أمة بأكملها في كهولتهم.

لقد اختلفت استجابات المثقفين العرب لهذا الاقتلاع المتوالي من الجذور. وفي حالة العمري تحديداً كان هذا الاقتلاع باعثاً على إعادة استكشاف الذات الجمعية والفردية. وهو ما تجسد في فعل رمزي هو تحقيق بعض أعمال التراث البلاغي المغربي، ونشره، وإعادة النظر في التراث البلاغي العربي عموماً، وتطوير أدواتٍ لاستكشاف أبعاد غير مدركة فيه، موظّفاً عُدّة تنتمي إلى الآن والراهن. كل هذا يكاد يكون قصة أوطاننا العربية؛ في حين أنها بالأحرى سيرةٌ شخصية لفرد واحد. ومن هنا فإن الجهد الطيب الذي بذله الأستاذ جبري في إنجاز سردية موازية لحياة أعمال الأستاذ العمري كاشف ومهم؛ لأنه يجعلنا نرى حياة أعماله هذه المرة منظوراً إليها من وجهة نظر مغايرة؛ فالأستاذ جبري هو نفسه شاهد على جزء من حياة أعمال العمري، ويمكنه هو كذلك أن يحكي من منظوره الخاص جزءاً من حكايتها.

2. نافذة الواصف:

تهدف الأعمال المعرّفة بالمشاريع العلميّة إلى تقديم وصف دقيق لهذه المشاريع. ومن ثمّ، يُتوقّع أن تكون نافذة الواصف هي النافذة الأكثر حضوراً في هذه الكتابات. ويشتمل الوصف على الأفكار، والأنشطة العلمية، والإنجازات المرتبطة بها. ولا يشذ كتاب **سؤال البلاغة** عن هذا المبدأ؛ إذ تهيمن عليه نافذة الواصف حتى يوشك أن يكون متناً شارحاً على متن العمري. وقد قدّم جبري وصفاً لمحتوى شطر من أعمال العمري؛ تضمن دراسته عن الإفراني، وتحقيقه لكتاب **المسلك السهل**؛ وعمله المؤسّس لإحدى أهم القراءات العربية المعاصرة للتراث البلاغي العربي من منظور نظرية القراءة والتلقي؛ أعني: **البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**. علاوة على دراسة أسس مشروع العمري في بناء بلاغة عامة؛ كما تجلت في كتب: **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول** (2003)، **وأسئلة البلاغة** (2013)، **والمحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة** (2017).

من الملاحظ أن نافذة جبري الواصفة عكست الشطر الأكثر اتصالاً بالقضايا النظرية للبلاغة العربية. فلم يُعن كتاب **سؤال البلاغة** بأعمال العمري المبكرة في دراسة موسيقى الشعر، ولا أعماله التطبيقية التي فعّل فيها عُدته البلاغية لدراسة خطابات دينية وسياسية راهنة. مثل كتب: **دائرة الحوار ومزالق العنف** (2002)، **ومنطق رجال المخزن وأوهام الأصوليين** (2008)، **وعوائق الحوار، تحليل الخطاب الأصولي المغربي**(2015).

وكما يليق بنافذة الواصف المتخيّر، فقد اختار جبري أن يُعرّف بالإضافات الأكثر جذرية في مشروع العمري، مفرداً مساحة كبيرة للمفاهيم والمصطلحات المحورية في مشروعه، مُلقياً أضواءً ساطعة على إنجاز العمري الأهم؛ أعني نقل البلاغة العربية من دائرة الضيق والانحسار إلى الاتساع والانتشار والرحابة.

3. نافذة المُيسّر:

النافذة الثالثة هي نافذة الميسّر أو الوسيط. وترتبط هذه النافذة بوظيفة أساسيّة لكتب المداخل العلميّة هي وظيفة التيسير. وتكون الحاجة إلى هذا التيسير ماسّة في حالتين بخاصة: الأولى حين تنطوي الكتابات الأصليّة على درجة من الصعوبة التي قد تصاحب الأفكار الأصيلة الجديدة. والثاني حين يطول العهد بالمعرفة الأصلية، وتهدف الكتابة الوسيطة إلى القيام بدور المفصل الرابط بين الأجيال، بهدف نقل معرفة منجزة تَقادم العهد بها إلى جيل غضٍّ يشق طريقه في الحقل المعرفي نفسه.

لقد كانت مهمة الميسّر، ووظيفة الوسيط حاضرتين في كتاب **سؤال البلاغة** على نحو جلي. وفي الحقيقة، فإن جزءاً من صورة الأستاذ جبري في كتابه هي صورة الشارح. وتستند مشروعية هذه المهمة إلى إدراك ضمني غير مصرح به بأن عمق أفكار العمري وبلاغة تعبيراته قد تقلل في بعض الأحيان من انتشارها بيداغوجيّاً بالقدر المأمول. ومن هنا دوماً هذه المهمة الضرورية التي يقوم بها وسيط المعرفة، الذي يحاول أن يجعل المعرفة ميسورة لقارئ آخر، لم يكتمل تكوينه، أو ينتمي إلى زمن مختلف.

لقد كانت مهمة الميسر وراء خصيصة مهمة من خصائص كتاب **سؤال البلاغة**؛ هي تكرار بعض الأفكار، والموضوعات. فعلى سبيل المثال، تكرر تعريف مفهوم البلاغة ست مرات على مدار صفحات الكتاب، بصياغات متقاربة، كما نرى في الصفحات رقم 129، و131، و135، و153، و155، و196. ففي كل هذه الصفحات يتكرر سؤال: "ما البلاغة؟"، وتتكرر إجابة الأستاذ العمري على السؤال، وبعضاً من شرح جبري له. بالطبع، فإن هذا التكرار يُعدُّ أثراً لخصيصتين أخريين لكتاب **سؤال البلاغة**، الأولى أن الكتاب أُلِّف ونُشر منجّماً في شكل مقالات علمية، وأوراق، وشهادات في لقاءات ومؤتمرات، قبل أن يُجمع بين دفّتي كتاب واحد. والثانية أن اهتمام الكتاب يتراوح بين عرض كتب بعينها من أعمال الأستاذ العمري وبين تقديم أفكار عامة على مشروعه بأكمله؛ ونتيجة لذلك تتكرر الأفكار والمعلومات نفسها في كثير من الأحيان.

كل جهد بشري مهما أتقن، ومهما أوتي من زمن، لا يستطيع أن يقدم كل شيء. وقد قدمتُ في الصفحات السابقة ثلاث نوافذ منجزة في كتاب **سؤال البلاغة**. وثمة أربع أخرى آمل أن ينظر باحثون آخرون من خلالها في أعمال العمري مستقبلاً.

أولاً: نافذة المقارِن:

كل مشروع علمي، مهما بلغ عمقه واتساعه، يُمثل وجهاً واحداً من وجوه متعددة لهذا العلم في أي زمان ومكان. فالعلوم الإنسانية تحتفي بالتعدد والتنوع في التوجهات، والمقاربات، والمنهجيات، والمدارس. ومن ثمّ، فإنه لا يمكن الإحاطة بمشروع بلاغي ما، إلا عبر مقارنته بغيره من المشاريع السابقة عليه، والمجايلة له، واللاحقة به. وقد غابت نافذة المقارن عن كتاب **سؤال البلاغة**؛ فافتقدنا النظر إلى مشروع العُمري في علاقته بمشاريع أخرى سواء كونيّاً أم عربيّاً، في الوقت الراهن أو في الماضي القريب أو البعيد. تبدو نافذة المقارن مهمة جدّاً في حالة علم البلاغة تحديداً؛ لأن البلاغة العربية منذ سبعينيات القرن التاسع عشر تشهد حركات تجديدية، يتفاوت مداها، وآثارها، وتتباين العلاقات بينها؛ اتصالاً، وقطيعة، ونقداً، واستلهاماً، ومحاكاة، وغيرها. ومن الضروري أن نضع كل مشروع تجديدي بلاغي في نافذة الراهن والتاريخ.

تكتسب نافذة المقارن أهمية خاصة بالنسبة لمشروع العمري. إذ يمكن تلخيص الإسهامين الأساسين لمشروع العمري في سعيه إلى تأسيس بلاغة عامة تجمع بين التداولي والشعري، وما يترتب على ذلك من إخراج البلاغة من عباءة شروح التلخيص من ناحية، وإلى تعزيز انفتاحها على الخطابات غير الأدبية تنظيراً وتطبيقاً من ناحية أخرى. وفي سبيل تحقيق ذلك، دعا إلى "بلاغة عامة"، تجمع تحت جناحها الشعري التخييلي والحجاجي التداولي معاً. وقدم تصورات نظرية، وممارسات تطبيقية ترسخ لهذه البلاغة العامة، وتمهد الطريق أمام الباحثين لارتيادها.

حين ننظر في مشروع العمري من منظور مقارن، سنرى أنه يشكل امتداداً معمّقاً لمشاريع أخرى أقدم، سواء عربيّاً أو غربيّاً. فعربيّاً، حاول أمين الخولي، وسلامة موسى تجديد المعرفة البلاغية بواسطة تقديم اقتراحات متنوعة لاستدعاء بُعدها التداولي النفعي، ودمجها بخطابات الحياة اليومية درساً ودراسة. فاهتم الخولي ببلاغة النصوص الشعبية، والأدب العامي[1]. وخطا سلامة موسى خطوة أبعد باتجاه تحويل البلاغة إلى مقاربة للخطابات العمومية جميعاً؛ فصيحها وعامّيها، مع التركيز على قوتها الإقناعية، ووظائفها النفعية في المجتمع[2]. وبالطبع فإن دعوة موسى لم تتحول إلى مشروع معرفي، أما مشروع الخولي فقد صمد لبعض الزمن ثمّ تهاوى بفعل علل مختلفة. ومهما يكن من أمر فإن كتابة تاريخ البلاغة الجديدة في العالم العربي يتطلب وضع اللبنات التاريخية في مكانها الصحيح، ولا يمكن إنجاز ذلك بدون منظور مقارن.

---

[1] انظر: الخولي (أمين)، **فن القول**، مرجع سابق، ص 210، ويقوم كتاب **في الأدب المصري** بأكمله على أطروحة جدارة الآداب الشعبية، ولغة الحياة اليومية عموماً بالبحث في إطار البلاغة.

[2] سلامة (موسى)، **البلاغة العصرية واللغة العربية**.

وعلى نحو مشابه، فإن نافذة المقارنة يجب أن تطل على إسهامات الجانب الشمالي من المتوسط. فمفهوم البلاغة العامة، بالصياغة العُمريّة له، متأثر بأعمال هنريش بليت وأوليفيه روبول وبيرلمان، وغيرهم. وعلى الجانب نفسه من المتوسط، يمكن للمقارن أن يستكشف نقاط التلاقي بين سعي العُمري لترسيخ بلاغة عامة مع محاولات عربية معاصرة، مثل جهود حمادي صمود وزملائه في جامعة منوبة، وغيرها من الجامعات التونسية. وهي جهود لم تندرج في إطار خطة شاملة لتجديد البلاغة على نحو ما تحقق عند العُمري، وزملائه في المغرب، لكنها تركت تأثيراً مهمّاً في تطور البلاغة العربية المعاصرة[1].

على الرغم من غياب البُعد المقارن في كتاب **سؤال البلاغة** فإن للأستاذ إدريس جبري أعمالاً مقارنة معمّقة، حاول فيها استكشاف أوجه التلاقي والتباين بين مشروع الأستاذ العمري وجهود أخرى معاصرة لتجديد البلاغة العربية. من هذه الأعمال دراسته «في علاقة البلاغة العامة بالبلاغات الخاصة: بلاغة الجمهور عند عماد عبد اللطيف نموذجاً»، التي تستكشف نقاط التقاطع والانفصال بين مشروع البلاغة العامة عند محمد العمري، ومشروع بلاغة الجمهور عند عماد عبد اللطيف[2].

ثانياً: نافذة متتبع الأثر

تقاس أهمية المشاريع العلمية بمعايير متنوعة، لعل أهمها الأثر الذي تتركه في الحقل المعرفي الذي تنتمي إليه. ويتجلى الأثر الذي يحدثه مشروع معرفي معين في مظاهر متنوعة؛ منها التغيرات التي يُحدثها في الإدراك العام لهذا الحقل المعرفي؛ من زاوية موضوعه، أو وظيفته، أو مناهجه، أو تطبيقاته، أو علاقاته بغيره من العلوم. وتظهر هذه الآثار في الأعمال العلميّة التي تتخذ من هذا المشروع مرجعية تنظيرية أو تطبيقية لها، والأعمال البيداغوجية التي تُعلّم هذا الحقل المعرفي لأجيال جديدة. ولا تكتمل الإحاطة بمشروع معرفي ما دون الإحاطة بالأثر الذي تركه هذا المشروع. ويمكننا تتبع أثر مشروع معرفي ما من فهم كيف تتطور المعارف، وكيف ينتقل أثرها، والوصول إلى تقدير جيد لأهمية مشروع ما، مقارنة بغيره من المشاريع. ومن الطبيعي أن جزءاً من قيمة مشروع علمي ما ترتبط بتأثيره على حالة هذا العلم في زمن معين.

علاوة على هذه الفوائد العامة، تكتسب دراسة آثار مشروع العمري تحديداً أهمية خاصة؛ بفضل عمق تأثيرها في المشهد البلاغي الراهن، وبخاصة في المملكة المغربية. فقد تأثر

---

[1]. يمكن الاطلاع على سرد لتاريخ البلاغة الجديدة في المملكة المغربية في مقال الأستاذ العمري في هذا العدد من **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب**.

[2]. انظر: جبري (إدريس)، «في علاقة البلاغة العامة بالبلاغات الخاصة: بلاغة الجمهور عند عماد عبد اللطيف نموذجاً»، ص 47-70.

كتاب متعددون بأعمال العمري، صرح بعضهم بهذا حيناً، وأخفوا أثره أحياناً. وفي بعض الحالات المؤسفة، نسب باحثون خلاصة مشروع العمري لأنفسهم. وتحتاج هذه الدعوى إلى مزيد من التفصيل، هي مهمات الباحثين الشباب.

يمكن التمييز بين نوعين من الآثار التي أحدثتها أعمال محمد العُمري: النوع الأول، تأثر جزئي بعمل من أعماله، أو مقولة من مقولاته، أو فكرة من أفكاره. ومن هذه الزاوية تُعدُّ كتابات العُمري من بين الأعلى اقتباساً في العقدين الأخيرين[1]. وربما يحظى كتابَا **البلاغة العربية: أصولها وامتداداتها**، و**البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، بنصيب الأسد من هذه الاقتباسات. ويبدو هذا مفهوماً، نظراً إلى أن الكتابين ربما يشكّلان عِماد مشروع العمري البلاغي؛ فالأول يقدم قراءة معاصرة للتراث البلاغي، هي الأكثر تداولاً بين الباحثين خلال العقدين الماضيين، والثاني يُعدُّ التدشين الأوفى لمشروع البلاغة العامة، التي تُبئر الخصوصية المائزة للبلاغة العربية في موازاة البلاغة الغربية؛ أعني أنها تتألف من تضافر التداولي والتخييلي في جسد واحد، أو بالأحرى تطير بجناحين هما التداولي والتخييلي لو استعرنا تشبيه العمري للبلاغة بأنها طائر محلق.

النوع الآخر من التأثر يمكن أن نسميه تأثراً كليّاً، وهو تأثر يتجلى في تبني التصور "العمري" للبلاغة، ومسائلها، ووظائفها. ويمكن أن نلمح هذا النوع من التأثر في أعمال تلامذة العمري المباشرين ممن تبنوا مشروع أستاذهم، وحاولوا بسبل شتى استكماله، وتطويره. ويمكن أن نضع في هذا السياق بحوث الحسين بنوهاشم التي سعتْ إلى تقديم فحص شامل لعملين غربيين ربما كانا من بين الأكثر تأثيراً في البلاغة العربية طوال تاريخها القديم والحديث؛ الأول هو كتاب **الخطابية** لأرسطو، المشهور بكتاب الخطابة، أو فن الخطابة. والثاني هو **الخطابية الجديدة** لبيرلمان المشهور بالبلاغة الجديدة أو الخطابة الجديدة[2]. وقد قدم بنوهاشم الفحص الأكثر دقة وشمولاً لهذين العملين المؤثرين في مشروع العمري، وفي البلاغة العربية على حد

---

[1] هذا القول لا يستند إلى إحصاء عددي؛ بسبب عدم وجود آلية لإحصاء الاستشهادات في الأعمال العربية، ولكنه يستند إلى فحص شخصي قمتُ به لكثير من الكتابات البلاغية المعاصرة، علاوة على استطلاع رأي لباحثين آخرين.

[2] أستعمل في هذا السياق مصطلح "الخَطابية" ترجمة لـ rhetoric، انسجاماً مع استعمال المؤلف نفسه لها. وقد حاولتُ في سياق آخر الموازنة بين الترجمات المختلفة المتاحة لمصطلح rhetoric فيما يغني عن ذكرها في هذا السياق. وللاطلاع على مسوغات استعمال مصطلح "الخَطابية"، يمكن الرجوع إلى: بنوهاشم (الحسين)، «المنظومة المصطلحية للبلاغة العامة»، **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب**، عدد 9، ص 294-296.

سواء[1]. كذلك يمكن النظر إلى العمل القيم الذي درس فيه عبد الرحيم وهابي القراءة العربية لكتاب فن الشعر على أنه مواصلة لجهود العمري في دراسة الموضوع ذاته، في الفصل الفريد الذي خصّه لهذه المسألة في كتاب **البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**[2].

هناك نوع مختلف من الآثار التي تركتها أعمال العمري في كتابات بلاغية راهنة، يمكن تسميته "الآثار المخفيّة". فقد تأثر عدد من "الباحثين" بمشروع العمري، سواء في جزئياته أو كليته، لكنهم سعوا إلى إخفاء هذا التأثر، وتجاهلوا الاعتراف بالمصدر الذي استمدوا منه أعمالهم. وللأسف، فقد نسب بعض "الباحثين" لأنفسهم المنجز الأساسي لمشروع العمري: أعني دعوته إلى مقاومة بلاغة الانحسار، بواسطة استعادة الدمج بين البعدين التداولي والتخييلي في إطار بلاغة عامة، وتشغيل البلاغة بوصفها أداة تحليل لخطابات متنوعة؛ وبخاصة الخطابات العامة. ويجدر بالباحثين فضح وتعرية هذا النوع من السرقة الأكاديمية؛ لأن مخاطره لا تقتصر فحسب على سلب إسهامات مشروع علمي مستقر ونسبتها إلى آخرين، بل تنطوي كذلك على تشويه تاريخ العلم ذاته.

ثالثاً: نافذة فاحص الأسلوب

تُعنى البلاغة بكيفية القول قدر عنايتها بماهيته؛ وبصياغة أكثر معاصرة فإن البلاغة تهتم بالشكل قدر اهتمامها بالمحتوى. وعادة ما تنشغل الأعمال التي تقدم مراجعات للمشاريع المعرفية بالأفكار، والمنهجيات، وطرق التحليل، والإسهامات العلمية. ونادراً ما يتوجه الاهتمام لجماليات الكتابة العلمية، أو تقنياتها. وفي الأحوال النادرة التي يهتم فيها الباحثون بلغة صاحب مشروع علمي ما، عادة لا يتجاوز هذا الاهتمام ذكر صفات عامة موجزة.

ربما ترجع ندرة الاهتمام بالجوانب الجمالية للغة العلمية إلى أن كثيراً من العلماء لا يولون اهتماماً كبيراً لتطوير أسلوب خاص في الكتابة يميزهم عن قرنائهم. فتكاد تتشابه سمات أسلوبهم مع سمات أساليب غيرهم من الكتاب. وبخاصة في ظل الحرص على تحقق شروط أساسية تكاد تقف حائلاً أمام تطوير أساليب كتابة متفردة؛ وبخاصة سمات الوضوح، والدقة، والمباشرة، والبساطة. وهي سمات تستلزم استعمال لغة متقشفة، تكاد تخلو من الموسيقى، والمجاز، وما قد يترتب عليهما من إبهام، وإيحاء، وتكلف.

---

[1]. انظر: بنوهاشم (الحسين)، **بلاغة الحجاج: الأصول اليونانية**؛ وبنوهاشم (الحسين)، **نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان**.

[2]. نشر وهابي دراسته بعنوان **القراءة العربية لكتاب فن الشعر لأرسطوطاليس**، عالم الكتب الحديث، عمّان، 2011. أما الفصل الذي يُعدُّ أباً للكتاب فهو بعنوان «فن الشعر من المحاكاة إلى التغيير». انظر: العمري (محمد)، **البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**، ص 223-271.

ومع ذلك، فإن قلة من أصحاب المشاريع العلمية الأصيلة حرصوا في الآن نفسه على أن يكونوا أصحاب أساليب علمية متميزة. وهذه القلة تستحق إفرادها بدراسات أسلوبية خاصة بها؛ بهدف الكشف عن سبل التوفيق بين شروط لغة العلم التي تفترض استعمال أنماط كتابية متعارف عليها، وبين الميل إلى تطوير أساليب كتابة علمية متفردة. ومن بين هؤلاء، البلاغي محمد العُمري.

بقدر خصوصية أطروحات العمري البلاغية تأتي خصوصية تعبيره عنها. فلا يكاد القارئ البصير يخطئ التعرف على كتابته من أسلوبها، وإن خلتْ من توقيعه عليها. ولعل أهم سمات أسلوبه ذاك الحرص على مخاطبة القارئ، عبر أفعال التنبيه، وصيغ المخاطبة المباشرة. وهي آلية تأليف شائعة في التراث العربي هدفها تأسيس علاقة بين القارئ والكاتب، تجعل عملية القراءة أكثر إيجابية وتشويقاً. كذلك يلمس القارئ سمة أسلوبية متفردة في كتابة العمري هي ذاك الميل إلى السخرية اللاذعة، المبطنة بالتهكم، والاتهام في بعض الأحوال. وربما تأثر العمري في هذه السمة بأساليب بلاغيين عرب قدماء مثل ابن الأثير. كما أن أسلوب العمري يميزه ذاك الولع بنحت تسميات ونعوت جديدة، تحمل بصمته الخاصة، لاشتقاقه إما من بيئته المغربية الصحراوية، أو تنقيبه في التراثين العربي والغربي.

يحتاج البحث المطلق من نافذة تحليل الأسلوب إلى إلقاء أضواء كاشفة على أسلوب الأستاذ جبري نفسه. فهو صاحب أسلوب خاص في تأليفه الأكاديمي، يمكن أن يكون كتاب **سؤال البلاغة** دالًّا عليه. فمتصفح الكتاب لا يملك إلا الإعجاب بسمات الدقة، والبساطة، والوضوح التي تميزه. لكن أهم سمة من سمات كتاب **سؤال البلاغة**، في تقديري الشخصي، هي براعة السرد. ولعل الضميمة السردية التي ذيل بها هذا الكتاب تكون خير شاهد على ذلك؛ إذ تكشف عن تدفق في الحكي، وقدرة على رسم المشاهد القصصية ببراعة، ولغة كاشفة مطعمة بالسخرية الفكهة. وأُقدّم مثالاً واحداً لهذه البراعة السردية. يحكي فيه أستاذ جبري قصة لقائه بأعمال أستاذه حين كان طالباً حديث السن في فاس:

«لقد دخل محمد العمري [...] إلى حياتي دون استئذان، ودخلتُ حياته في غفلة منه. بدأ يحضر عندي حيثما ولجت مكتبة أو ترددت على كشك... أنقب عن كل ما يكتبه هذا الصحراوي الورزازي، المفتول العضلات، الذي لا يعرف، في تمثلي لحظتها، الضحكُ طريقاً إلى محياه... وكان من أولى ثمرات هذا الحضور كتابه: **في بلاغة الخطاب الإقناعي** (1986)، اقتنيته في مكتبة بحمرية بمكناس، بدأتُ أتصفحه، وأستحضر صورة صاحبي عن المؤلّف، كتاب متجهم، لا شك أن صاحبه متجهم أيضاً، كتاب خشن، لا شك أنه من طينة صحراوية قاحلة، بلا ماء، ولا دسم... وعندما اختليتُ بالكتاب في غرفة صغيرة، محاطة بثلاثة أسرة، ومكتبة من

قصب، ورائحة طعم الفاصوليا، والعدس والبيض، والطماطم والفلافل جميعها، تختلط وصفحات الكتاب... كتاب مفتول العضلات كصاحبه... الخطبة والخطابة... محاورة أفلاطون... والإقناع، والحجج، والبراهين، والتصديقات... (ما سمعتها قط من أحد من أساتذتنا بعد...) انصرفتُ بسرعة من الكتاب، وانصرف عني... وذهب كلّ إلى غايته... حتى حُمّ اللقاء فالتقينا...[1]»

يكشف المقتطف السابق عن موهبة سردية حقة. فتدفق الحكي، وحيوية الوصف، والمزج بين المنظور الشخصي والواقع، وتضفير الماضي بالحاضر، وبراعة تجسيد الشخوص، وبراعة رسم ملامح الزمان والمكان، كلها أدوات لا يمتلكها إلا السارد المحترف.

رابعاً: نافذة الناقد:

النافذة الأخيرة التي آمل أن يُنظَر من خلالها إلى أعمال الأستاذ العمري هي نافذة الناقد. فالعلم لا يتطور إلا بنقده. وكل مراجعة نقدية تصدر عن معرفة، وموضوعية، وحياد، لا تقلل من المنقود، بل تضيف إليه. وفي الحقيقة، فإن المعرفة التي لا تُنقَد ليست حقيقة بوصف المعرفة، بل هي إلى المعتقد أقرب. والعلم لا يقدم معتقدات، بل مقترحات، وفروض، واجتهادات، لا أكثر.

فيما يتعلق بنقد مشروع العمري فإنه يمكن التركيز على أمور مثل أثر البُعد الإيديولوجي في نقده البلاغي للخطابات العمومية، وتفاوت الثقل المعرفي بين كتاباته البلاغية التأسيسية وكتاباته التحليلية الموجّهة للقارئ العام.

---

[1]. جبري (إدريس)، **سؤال البلاغة**، ص 213.

خاتمة:

سعى هذا البحث إلى تقديم إطار لدراسة الكتابات الوسيطة التي تقدم مداخل تعريفية للمشاريع العلمية. يقوم هذا الإطار على تصور "النوافذ" التي يختار الباحث أن "يطل" من خلالها على مشروع علمي ما. ويقترح البحث أن هناك عدداً لا نهائيّاً من النوافذ، ينتخب الباحث من بينها ما يحقق أهداف تقديمه لعمل معرفي ما، ويُهمل أخرى. ويحاجج البحث بأن دراسة الكتب المُعرِّفة بالمشاريع العلمية تتطلب تتبع النوافذ التي أطل الباحث منها بالفعل على المشروع العلمي المدروس، وتلك التي أهملها وتجاهلها. وحاجج بأن كتاب **سؤال البلاغة** يمثل نموذجاً لهذه الكتابات الوسيطة، فقد اختار ثلاث نوافذ للإطلال على مشروع العمري البلاغي؛ هي نوافذ السارد، والواصف، والميسر. واقترح البحث أن أحد سبل استكمال هذا العمل القيم هو الإطلال على مشروع العمري من نوافذ أربع أخرى هي؛ نوافذ المقارن، ومتتبع الأثر، وفاحص الأسلوب، والناقد.

لقد افتتحتُ هذا المقال بمدخل موجز حول مدارس البلاغة العربية في الماضي القريب، والراهن الحي. وأود أن أختتمه بحديث عن مدارس البلاغة العربية في المستقبل. وفي الحقيقة، فإن مدارس البلاغة المستقبلية هي ما يصنعه البلاغيون الآن؛ فليس مستقبل العلم إلا ما ينجزه الباحثون في اللحظة والآن. وكما رأينا، على مدار صفحات هذا المقال، فإن المدرسة العلميّة لا تتشكل إلا بالجهود المتراكمة التي يقوم بها أساتذة وطلاب مخلصون، يعكفون على المعرفة، ويقدّرونها، ويبدعون فيها، على نحو ما قدّم محمد العمري في مشروع البلاغة العامة، وعلى نحو ما قدّم إدريس جبري في كتابه القيم. أما السطو على جهود الآخرين، وتجنيد الطلاب، وحشد الأتباع؛ للتهليل والصياح وتشويه ذوي الإسهامات الأصيلة، فقد تصنع بعض الضجيج لبعض الزمن، لكنها لا تؤسس مشروعاً معرفياً، ولا تترك ما ينتفع به الناس./.

المراجع

- بنوهاشم (الحسين)،

أ- **بلاغة الحجاج: الأصول اليونانية**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2014.

ب- **نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2014.

ج- «المنظومة المصطلحية للبلاغة العامة»، **مجلة البلاغة وتحليل الخطاب**، عدد 9، 2016، ص 289-304.

- جبري (إدريس)،

أ- «في علاقة البلاغة العامة بالبلاغات الخاصة: بلاغة الجمهور عند عماد عبد اللطيف نموذجاً»، ضمن: **بلاغة الجمهور: مفاهيم وتطبيقات**، دار شهريار، بغداد، 2017، ص 47-70.

ب- **سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري: نحو بلاغة عامة**، منشورات مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، المملكة المغربية، 2019.

- الخولي (أمين)،

أ- **في الأدب المصري**، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1943.

ب- **فن القول في مدرسة المعلمين العليا**، دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، 1996.

ج- **مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب**، دار المعرفة، القاهرة، 1961.

- العمري (محمد)،

أ- **البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1999.

ب- **أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة: دراسات وحوارات**، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2013.

- سلامة (موسى)، **البلاغة العصرية واللغة العربية**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط2، القاهرة، 2012.

- وهابي (عبد الرحيم)، **القراءة العربية لكتاب فن الشعر لأرسطوطاليس**، عالم الكتب الحديث، عمّان، 2011.

- Abdul-latif (Emad), Rhetorical Revival: Transformation of Arabic Balaghah in Amin Al-Kholys' works, A paper presented at Columbia University International Workshop on *'Conceptions and Configurations of the Arabic Literary Canon'*, Columbia University Global Centre, Paris, 17-19/06/2019.

البلاغة وتحليل الخطاب

Al Balagha Wa Tahlil Al Khitab

مجلة فصلية علمية مُحكّمة

المساهمون في العدد الرابع عشر

- محمد العمري
- محمد الولي
- عبد الرحيم وهابي
- عبد القادر بقشي
- عماد عبد اللطيف
- محسن محوش
- حسن بدوح
- امحمد واحميد

CTP & Impression : Imprimerie Rabat Net Maroc

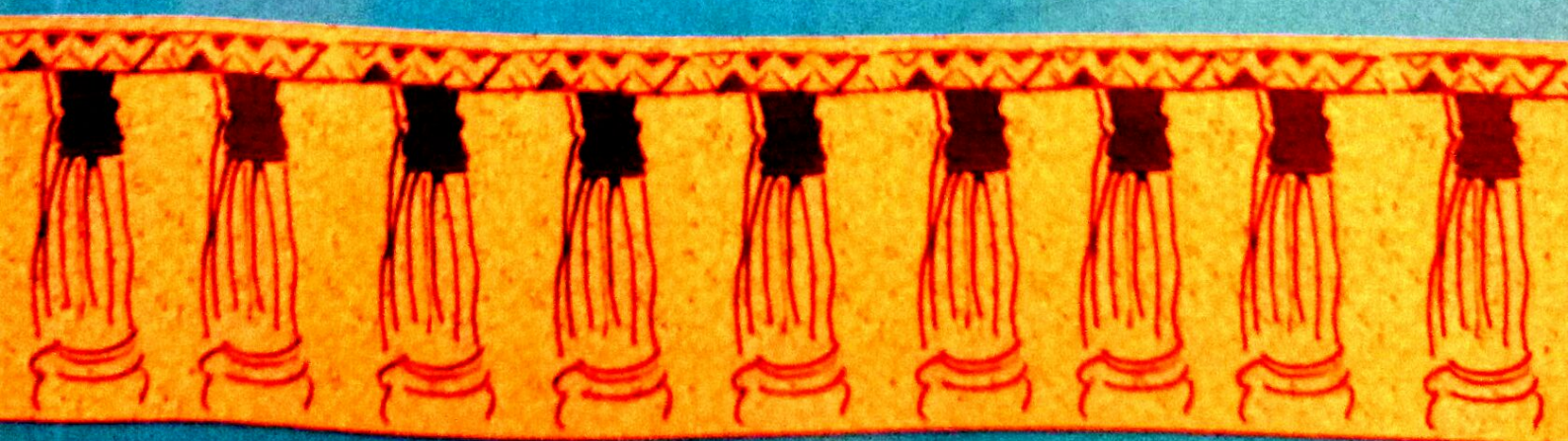

الثمن 35 درهماً